دور المتغير الطاقوي في دعم التنافس الجيوبوليتيكي الروسي- الأوراسي

أ. بلقرشي إيمان

المدرسة الوطنيا العليا للعلوم السياسية

الملخص:

تتجه أولويات روسيا الجيوبوليتيكية في النظام الدولي القائم، إلى التغلغل الاستراتيجي في الفضاء الأوراسي، بالشكل الذي يحقق التكامل القاري بين أوراسيا (الأراضي الساحلية) والمركز (روسيا الاتحادية)، الأمر الذي يجعل منها قوة جيوبوليتيكية مستقلة أمام العولمة التي تعكس الهيمنة الأمريكية – الغربية عبر تفعيل الآلية الأطلسية.

يعد المتغير الطاقوي أحد أهم محاور الاستراتيجية الأمنية الروسية، من أجل ضمان الاحتكار الروسي السيطرة على مجريات اللعبة الطاقوية في الاقليم الجيوسياسي الأورو-آسيوي أولا، وعامل حاسم في استراتيجية العودة الروسية كقوى عظمى ثانيا، حيث على أساسه ستُرسم إلى حد كبير أولويات استراتيجيات الغرب (الاتحاد الاوروبي، الولايات المتحدة الأمريكية) في التعامل مع موسكو.

Summary

Russia's geopolitical priorities under the current international regime aim to penetrate strategically into the Eurasian space so as to achieve a continental integration between Eurasia (the littoral territory) and the center (the Russian Federation). As such, Russia will become an independent geopolitical power vis-à-vis the globalization that reflects the US-Western domination translated by the activation of the Atlantic mechanism.

The energy variable is one of the main axes of the Russian security strategy. It allows Russia, on one hand, to monopolize and control the course of the energy game in the Euro-Asian geopolitical region, and on the other hand, it is a decisive factor in the strategy for the return of Russia as a superpower. Indeed, it is on the energy variable that rely the priorities of the West strategies (EU - US) in its relations with Russia.

مقدمة

يُبرهن صراع الموارد المستقبلي، لحماية مواقع الإمداد الحيوية الكبرى أو طرق الترانزيت على شدة وعنف استراتيجيات القوى الكبرى القائمة على استخدام القوة الصلبة لحماية مصالحها الجيوبوليتيكية في سياق اللعبة الكبرى الجديدة – الفضاء الأوراسي-. إن ميزة الندرة الحادة للموارد الحيوية كمنتج استراتيجي زاد من حدة التنافس الطاقوي بالموازاة مع البحث وتطوير الطاقات البديلة، الأمر الذي يضعنا أمام إشكالية المعضلة الطاقوية " Enargy Delemna" على غرار المعضلة الأمنية "Security Delemna".

إن ضمان الاحتكار الروسي السيطرة على مجريات اللعبة الطاقوية في الفضاء الأورو- آسيوي أمر حاسم للأمن الطاقوي الروسي، ولاستعادة مكانتها ودورها كقوى عظمى، بالشكل الذي أولا يُخضع أوروبا "الجسر الأوراسي" طاقويا لروسيا، وثانيا يؤكد على تعددية قوى النظام الدولي، وثالثا وضع حد للتوسع الغربي بآلية حلف الناتو في العمق الحيوي الروسي.

تنطلق سياسة روسيا- بوتين من تطبيق عملي إستراتيجي قائم على مبدأ "أن الطاقة الروسية تصنع من المنافسين

شركاء"، كمبدأ محصلته الإستراتيجية الأمنية تعزيز مكانة روسيا انطلاقا من ضمان أمنها الطاقوي.

المحور الاول: جيوبوليتيك أوراسيا وإشكالية الأمن الطاقوي

تعد محددات الجغرافية السياسية، أحد أهم عوامل تحليل السياسة الداخلية والخارجية للدول، إذ أن عامل الجغرافية السياسية هو ما يُبقي على استمرارية توجهاتها رغم تغير قيادتها السياسية. وعليه، فإن لكل قوى كبرى مسلماتها الجغرافية الإستراتيجية التي ترسم من خلالها حدودا لمصالحها الحيوية لأمنها القومي الشامل.

أولاً- جيوسياسية الفضاء الأوراسي

تمتد حدود أوراسيا غربا من حدود أوروبا الغربية على المحيط الأطلسي حتى ضفاف الصين الشعبية وروسيا الاتحادية على المحيط الهندي في الشرق. أوراسيا المركز المحوري في العالم بجيوسياسيتها الحيوية، يقطن بها حوالي 75% من شعوب العالم، تنتج حوالي ثلثي الناتج القومي العالمي، وفيها حوالي ثلاثة أرباع مصادر الطاقة في العالم. وبحارها الخمسة (البحر المتوسط، البحر الأسود، البحر الأحمر، الخليج العربي، وبحر قزوين) إذ تحوي مخزونا طاقويا استثنائيا، إضافة إلى موقعها على مفترق الطرق الاستراتيجي بين الدول الكبرى المصدرة والمستهلكة، ومن يسيطر عليها يتحكم في لاقتصاد العالم وشريانه الحيوي النفطي(1).

تشكل أوراسيا بذلك، مكمن التحدي السياسي الاقتصادي للقوى الجيوبوليتيكية الكبرى بالعالم، تضم الدول الست التي تلي الولايات المتحدة الأمريكية في ضخامة الاقتصاد وحجم الإنفاق على التسلح العسكري، فضلا عن الدولتين الأكثر تعدادا للسكان في العالم والأكثر تطلعا إلى الهيمنة الإقليمية والنفوذ العالمي "الصين والهند". توجد بأوراسيا أكبر قوة من حيث الطاقة وأوسعها مساحة، ومن حيث الرؤوس النووية الموجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية(2).

ثانيا- الإسقاط الجيوبوليتيكي الروسي - الأوراسي

تعتبر اورآسيا رقعة الشطرنج الكبرى التي يستمر عليها صراع القوى العظمى من أجل النفوذ والهيمنة العالمية، مركزا للقوة العالمية ومسرحا للعملية الجيوبوليتيكية التاريخية والمتواصلة بين القوى القارية ذات الطرق البرية والقوى البحرية ذات المنافذ المائية من المنظور البريجانسكي.

يبرز مفهوم الأمن كأحد مضامين القوة في إطار ما يمليه واقع الفوضى الدولية. تُمثل القوة العامل **الأقل قابلية للتغيير** في ظل تجزئة السياسة العالمية إلى أقاليم مختلفة، إذ أن الأبعاد الجيوسياسية في الإقليم الأوراسي تعيد مضامين القوة التي تجسد بقاء الدولة، وتضفي الصيغة التقليدية للحروب.

رغم التحول في نمطية الحرب حاليا، الذي هو جزء من تراكمات إستراتيجية، يرتبط بالعامل المؤسس لها (الدولة) وبالتهديدات الجديدة، إلا أن واقع التفاعل الدولي يعيد ترتيباته التقليدية من خلال التأكيد على "**الحتمية الجغرافية والمساعي الجيوسياسية**"، في مواجهة العامل القيمي والتوظيف التكنولوجي في إطار المنافسة على القوة العالمية، المبنية على التوظيف الإستراتيجي للإقليم. تُؤكد التفاعلات المحورية التي تندرج بين واقع الهيمنة وانبعاث الصعود الإقليمي كرهانات أساسية في الإقليم الأوراسي، على الطرح الواقعي في العلاقات الدولية، الذي يجعل من القوة الصلبة حتمية لا تفارق السياسة الدولية، الأمر الذي برز جليا ما بعد الأزمة الأوكرانية والسورية، ومنه **عودة الجيوبوليتيك** كواقع حاسم في السياسة الدولية.

I. هالفورد ماكيندر (Halford Mackinder)

شكلت روسيا الاتحادية حيزا كبيرا من الفكر الجيوبوليتيكي لعالم الجغرافيا السياسية البريطاني ماكندر الذي أطلق عليها مسمى "المحور الجغرافي للتاريخ"، حيث مثلت روسيا ذلك القطب القاري الذي وحد حوله كتلة قارية من الدول الأوراسية التي شكلت نقطة الارتكاز الجغرافي في صنع تاريخ الإمبراطوريات القديمة والتي تضمنت إدارة إستراتيجية صراع المصالح الجيوسياسية للقوى الدولية، ويشمل هذا المحور الجغرافي سهول شرق أوروبا، وسهول شرق ووسط آسيا خاصة هذه الأخيرة التي تعد جزءً مهما من نظريته "قلب الأرض"(3).

ومن هنا أكد ماكندر أنه :"تحتل روسيا في العالم موقعا استراتيجيا مركزيا، وهو الموقع الذي ينسب إلى ألمانيا في أوروبا، فبإمكانها أن تسدد ضربات وأن تستقبلها في نفس الوقت، ومن كافة الاتجاهات باستثناء الشمال، والتطور النهائي المحكم لحركيتها، والمرتبط بالسكك الحديدية ليس إلا مسألة وقت".

انطلاقا من الأهمية الجيوإستراتيجية للمنطقة القارية صاغ ماكيندر القانون الجيوبوليتيكي الآتي: (4)

" إن من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على المنطقة الرئيسية(القلب) ومن يسيطر، على المنطقة الرئيسية، يتحكم في اوراسيا، ومن يتحكم في اوراسيا يتحكم في العالم".

II. نيكولاس جون سبيكمان (N.J.Spykman)

ذهب المفكر الاستراتيجي الأمريكي نيكولاس سبيكمان، استنادا إلى تراكم الخبرات الجغرافية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، إلى تقسم جغرافية أوراسيا إلى ثلاثة أقسام:(5)

- القسم الأول: Heart Land أي القلب القاري وهو روسيا الاتحادية بامتدادها البري الذي يتجاوز 17 مليون كلم^2.
- القسم الثاني: Rim Land نطاق ساحلي يشمل كل قارة أوروبا وشبه الجزيرة العربية والعراق ودول آسيا الوسطى، إيران وأفغانستان والهند، جنوب شرق آسيا والصين الشعبية والكوريتين، كوحدات تتميز بأهمية موقعها ومواردها الطبيعية الهامة.
- القسم الثالث: Crush Zone منطقة الارتطام التي تشهد التنافس والصراع من اجل السيطرة على مواردها وممراتها المائية.

وعليه، فإن القوة التي تحكم أوراسيا سوف تسيطر على اثنين من مناطق العالم الأكثر تقدما والأكثر إنتاجا على الصعيد الاقتصادي، حيث تقدر مصادر الطاقة فيها بحوالي 4/3 من إجمالي موارد الطاقة العالمية الأمر الذي يجعل من أوراسيا مركز اهتمام جيواستراتيجي(6). وهو ما يدفع بدول المنطقة إلى أن تعمل دائما على زيادة مستوى قوتها لأجل ضمان أمنها، مثلما أشار إليه سبيكمان بقوله:

"إن الدولة تبقى إما لأنها قوية أو أن دولة أخرى تضمن حمايتها، ولكي تضمن الدولة بقائها، عليها أن تجعل هدفها الأول في سياستها هو الحفاظ على قوتها أو زيادتها"(7).

III. بيوتر نيكولايفتش سافيتسكي (B.N.SAFITSKI)

يعد سافيتسكي احد أعلام المؤسسة الجيوبوليتيكية الروسية، اقترن طرحة الجيوبوليتيكي "روسيا الأوراسية" بفكرة أساسية تتمحور حول أن روسيا تمثل تكوينا حضاريا مميزا تحدده خاصية التوسط، هذا التوسط هو أساس تفردها التاريخي في عالم مستقل بذاته وواقع جيوبوليتيكي روحي- تاريخي مستقل يطلق عليه أوراسيا، أما أوروبا في تشكل الجناح الغربي لأوراسيا(8).

تتمتع روسيا الاتحادية بمكانة جيوبوليتيكية وموقعها الاستراتيجي المميز ككتلة قارية تتماه مع الأوراسية نفسها، كونها تمتلك من المقومات الجيوسياسة والسكانية والاقتصادية- التقنية بالحجم الذي يؤهلها لتكون أساسا للاستقلالية القارية. وباعتبار روسيا محور للتاريخ فإن جميع المناطق الأوراسية الأخرى ساحلية، ومن وجهة نظر إستراتيجية تبدو روسيا بنيانا مكانيا مستقلا يتماها أمنه مع أمن واستقلالية القارة بكاملها(9).

وبالنتيجة على المستويين الاستراتيجي والجيوبوليتيكي، فإن من أولويات روسيا الجيوبوليتيكية الراهنة هي التغلغل الاستراتيجي في الأراضي الساحلية وإقامة "حلف أوراسي" بالشكل الذي يحقق التكامل بين أوراسيا والمركز روسيا، وهذا لا يتحدد بإعادة مناطق الخارج القريب فقط، ولا في بعث علاقات التحالف مع دول أوروبا الشرقية، بل من خلال تعزيز إدخال دول الغرب القاري كألمانيا والشرق القاري كإيران والهند واليابان في الحلف الأوراسي الاستراتيجي الجديد(10).

ثالثاً- الأمن الطاقوي : اشكالية المفهوم والتنافس

I.مفهوم أمن الطاقة:

يرجع طرح المفهوم إلى فترة الحرب العالمية الأولى، ويعد تشرشل أول من أشار إلى تعريف المفهوم :"إن أمن الطاقة يكمن في التنوع والتنوع فقط" كمبدأ حاكم لإشكاليات الأمن

الطاقوي. وقد ارتكز الاقتراب التقليدي بخصوص المسائل أمن الطاقوي بالأساس على **أمن العرض** أي ضمان تدفق النفط وأنواع الوقود الأخرى، بما يتضمنه ذلك المفهوم من تجنب أزمات الطاقة " Energy Crisis" التي يقصد بها نقص في العرض من مصادر الطاقة يتزامن معه ارتفاع سريع في الأسعار بشكل يهدد الأمن القومي والاقتصادي للدول المستهلكة[11].

دفعت التحولات التي شهدها مفهوم الأمن في فترة ما بعد الحرب الباردة من محاولة **تعميق وتوسيع** من المنظور الواقعي، ليشمل مزيدا من الاهتمام الأكاديمي بقضايا الأمن الاقتصادي وأمن الطاقة والأمن البيئي والمجتمعي، ابرز تلك التحولات ظهور مفهوم "وطنية الطاقة Energy Nationalism" ولجوء الدول أي إحكام سيطرتها على المجال الطاقوي في قطاعها الاقتصادي عبر عملية التأميم وغلق القطاع كلية في وجه الاستثمارات الأجنبية[12].

أضحت الدول المستوردة، بذلك، تواجه إشكاليتي تامين إمدادات الطاقة من جهة واضطرارها إلى تطوير بدائل الطاقة التقليدية من جهة أخرى.إن الإشكال الآخر بشأن الأمن الطاقوي، يتجسد أساسا بالنظر إلى الجغرافيات السياسية للنفط والغاز عالميا التي ترتكز في مناطق عدم الاستقرار السياسي.

تتعدد تعاريف الأمن الطاقوي بين منظوري الدول المنتجة والمستهلكة، إذ على غرار المعضلة الأمنية أوجد التنافس الطاقوي معضلة طاقوية **"إن سعي دولة (أ) لتعظيم مكاسبها الطاقوية هو بمثابة تهديد للسياسات الطاقوية للدول (ب)"** . إذ يرى على أن تحقيق أمن الطاقة يتم عبر سلسلة من المستويات التي تبدأ بتأمين التنقيب والإنتاج من التهديدات، ومن ثَّم تأمين خطوط وممرات نقل الموارد الطاقوية، والتوزيع الآمن لهذه الموارد. كما يُرى أنه تأمين تدفقات طاقة كافية يمكن الاعتماد عليها وبأسعار مستقرة. وفي ظل تباين المفهوم ما بين دولة وأخرى، أن التعامل مع الأمن الطاقوى كأحد اعتبارات السياسة الأمنية للدول بما يمكنها من تحقيق مكانتها الدولية والإقليمية زاد من حدة الصدامات على الخريطة الجيوبترولية العالمية.

II. جدلية الطاقة والتنافس:

جسدت جيوسياسية الطاقة احد ابرز محددات العلاقة بين روسيا الأوراسية والغرب منذ تسعينيات القرن العشرين، بعد أن أصبح للنفط والغاز شأن محوري إبان رئاسة ف. بوتين وتأكيد نفوذ روسيا بشكل أكثر اتساعا عبر أوراسيا، الأمر الذي زاد من مخاوف الغرب بشأن التلاعب الإستراتيجي بإمدادات الطاقة.

إن إحياء روسيا – اعتمادا على كسب المنافسة في سوق الطاقة العالمية- وضع الأمن الطاقوي الأوروبي في مواجهة خطر حالات نقص الإمدادات، وتنويع مصادره من الطاقة، ومنه إشكالية وضع إستراتيجية فعالة من اجل خلق سوق أوروبية متكاملة للغاز، وما زاد من تعقيد الوضع الأوروبي حقيقة أن الدول الأوروبية لا تعتمد على روسيا بشكل متساو، وتداعيات ذلك بالنسبة الى اوروبا والعلاقات عبر الأطلسية. لذلك، أصبح أمن الطاقة الأوروبي يرتبط بشكل وثيق بأهداف السياسة الخارجية الروسية ومصالح شركاتها الطاقوية مثل: غازبروم Gazprom ، روزنفت Rosneft ، روس أوك إنرجو Roes Ukr Energo.[13]

إن الأهمية التي سوف تمنح لمحدد الطاقة في إستراتيجية الأمن القومي الروسي وسيطرت روسيا على إمدادات أوراسيا في أمن الطاقة الأوروبي، سوف ترسم إلى حد كبير أولويات إستراتيجية الغرب "الاتحاد الأوروبي وحلفاؤه أمريكيون" في التعامل مع موسكو[14]. على هذا الأساس استهدفت الإستراتيجية الأوروبية لتشجيع أمن الطاقة، سياسة الاعتماد المتبادل بين الاتحاد الأوروبي وروسيا الاتحادية.

إن إستراتيجية العودة الروسية المرتكزة على "الاحتكار الطاقوي العالمي" والاستخدام للقوة الصلبة لحماية مصالحها الحيوية الإستراتيجية، دعم - توجهها الأوراسي- ومساعي إحكام نفوذها على دول وخطوط ونقاط عبور الطاقة من القارة الأوراسية باتجاه العالم الخارجي من جهة، وعزز موقعها من سلم القوة الدولي من أجل كسب التنافس لأجل السيطرة الأوراسية في إطار "اللعبة الكبرى الجديدة".

المحور الثاني: تأثير المتغير الطاقوي على دعم التنافس الجيوبوليتيكي الروسي

أولا - مفهوم الأمن الطاقوي الروسي

تعد موارد الطاقة أحد أهم السلع الإستراتيجية التي تخضع للسيطرة السياسية، ومن ثًّم يعتبر التنافس على الموارد الحيوية النادرة وكذا توزيعها أحد أبرز مصادر الصراع الدولي كونه تنافس يأخذ شكل اللعبة الصفرية في إطار اللعبة الكبرى.

يعتبر قطاع الطاقة دعامة أساسية للأمن القومي الروسي وأداة قومية لتحقيق أهداف سياستها الخارجية ولبلوغ مكاسب إستراتيجية وتكتيكية، باعتباره يلعب دورا محوريا في سوق الطاقة العالمية. تمتلك روسيا أكبر احتياطات عالمية من الغاز الطبيعي تقدر بـ 23.4% من الاحتياطات العالمية، وتعد روسيا ثاني أكبر منتج للنفط وثامن أكبر دولة من حيث الاحتياطات النفطية والتي تقدر بحوالي 6.3% من الاحتياطات العالمية إلا انه يصعب الوصول إليه، كما تأتي روسيا فيما يتعلق بالفحم (19% من الاحتياطي العالمي) في الترتيب الثاني بعد الولايات المتحدة الأمريكية. أما فيما يتعلق بالطاقات غير التقليدية، تحتل روسيا الاتحادية المرتبة الرابعة بعد ألمانيا وكندا وبورحواي، إذ تصدر الطاقة الكهربائية تقريبا 17.7 بليون كيلو واط/ساعة (سنة 2009م)، وتنتج حوالي 10% من الإنتاج العالمي من اليورانيوم لتصبح بذلك رابع منتج عالمي لهذا المورد الطاقوي[15]. وبهذا كان لعودة روسيا واسترجاعها مكانتها الدولية كقوة اقتصادية طاقوية بالدرجة الأولى دورا وتأثيرا بارزا على قبولها كعضو في مجموعة الدول السبع الصناعية الكبرى سنة 2002م لتتحول لمجموعة الثمانية.

يتمحور المفهوم الروسي للأمن الطاقوي حول المحاور التي اقرها الرئيس فلاديمير بوتين منذ توليه السلطة سنة 2000م وتوسيعها عبر عهداته:[16]

- ✓ سعى روسيا لاستعادة ما فقدته الدولة من مصادر النفط والغاز الطبيعي لصالح الشركات الروسية والغربية.
- ✓ ضمان السيطرة على خطوط نقل الطاقة في المنطقة، والحيلولة دون إنشاء خطوط جديدة لا تكون روسيا شريكا فيها أو لا تمر عبرها.
- ✓ التعاون الطاقوي مع الدول الكبرى المصدرة للنفط والغاز كالمملكة العربية السعودية التي وقعت معها الشركة الروسية المساهمة "لوك أويا أوفرسيز هولدنغ" سنة 2004م اتفاقية شراكة حول المساهمة في عمليات التنقيب وبناء مصنع لتسييل الغاز بجانب حقل "غوار" أكبر حقل نفطي في العالم، فضلا عن التعاون الروسي السعودي في إطار منظمة الدول المصدرة للغاز. وكذا الدول الواعدة في مجال الطاقة على غرار كازاخستان وتركمانستان.
- ✓ زيادة الاعتماد والتوظيف السياسي لمصادر الطاقة في السياسة الخارجية الروسية تحقيقا لأهداف إستراتيجية وتكتيكية.
- ✓ إبعاد التوسع الغربي الأمريكي- الأطلسي عن مناطق النفوذ الروسي كأساس لبناء مجال أوسع من التأثير عالميا.
- ✓ توثيق علاقة الاعتماد المتبادل بين روسيا والإتحاد الأوروبي، حيث أن الأولى بحاجة للتكنولوجيا الأوروبية لتحديث هيكلها الاقتصادي، وتشكل الثانية سوق طاقوية روسية.

أكدت الوثائق الرسمية لروسيا الاتحادية منذ سنة 2008م على أولوية توظيف القدرات القومية لحماية المصالح القومية بما يتوافق والقانون الدولي، ليتم التركيز على قضايا الطاقة والنزاعات المرتبطة بها بشكل محوري في إستراتيجية الأمن القومي الروسي "لعام 2009م Russia's National Security Strategy To"، لتحدد روسيا في عام 2010م في استراتيجية الطاقة الروسية لعام 2030م Energy Strategy Of Russia For The Period Up to الأهداف الإستراتيجية لسوق الطاقة الروسي، إذ تعد روسيا الاتحادية أهم مصدر عالمي للهيدروكربونات، فضلا عن سعيها لتبؤ مكانة اللاعب الأقوى في سوق الطاقة النووية العالمية[17].

وعليه، تمثل "سياسة طاقة" عنصرا رئيسيا في فهم وتحليل التوجهات الأمنية الروسية وتأثيراتها على وضع روسيا

الدولي والتوازنات العالمية المرتبطة بها، إذ يعتبر قطاع الطاقة في روسيا الاتحادية دعامة أساسية للأمن القومي الروسي بمفهومه الشامل وهو ما أشارت إليه وثائق الأمن القومي الروسي، وأداة تأثيرية هامة من أدوات السياسة الخارجية الروسية بحكم الدور المحوري الذي تلعبه روسيا على صعيد سوق الطاقة العالمية.

ثانيا- الرؤية الروسية الأوراسية: جيوسياسية الطاقة والنفوذ

برزت ملامح التوجه الأوراسي الجديد منذ سنة 1994م في السياسة الخارجية الروسية، الذي أساسه إن روسيا الاتحادية دولة أوروبية- آسيوية (أوراسية) ففي العالم الأوراسي تقع روسيا وبه تكمن مصالحها، ومن هذا العالم تنبع مصادر تهديد امنها القومي[18]. لقد تكرس هذا التوجه الأوراسي الجديد سنة 1996م بعدما رسم يفغيني بريماكوف وزير خارجية روسيا أنذلك خطة إستراتيجية لدور روسيا الخارجي محددا إياه في مجموعة النقاط التالية[19]:

- ✓ إيجاد نظام عالمي جديد يقوم على التعددية القطبية التوافقية.
- ✓ إنشاء تحالف أوراسي يضم روسيا الاتحادية- الصين- الهند كمثلث استراتيجي يوازي الهيمنة الأمريكية، ومن هنا تم إيجاد منظمة شنغهاي للتعاون.
- ✓ المعارضة الشديدة لتوسع حلف الشمال الأطلسي في الدول السوفياتية السابقة، ومحاولة تكريس علاقات تبادلية بدل حالة العداء بين روسيا ودول الحلف.

يشكل مجال الهيدروكربور في روسيا الاتحادية ودوره المتنامي في الجغرافية السياسية العالمية للنفط رهانا على المستويين الداخلي والخارجي، أولا وضعه في إطار أوسع هو نهوض الاقتصاد الروسي بما يلبي احتياجات وسيطرة الكرملين، وثانياً حول قدراته الكبيرة على تغطية ازدياد الطلب العالمي مستقبلاً.

- جيوسياسية الطاقة داخليا

إن أكبر المشاريع النفطية الكبيرة في روسيا واستثماراتها المستقبلية تقع في الشمال أين تم اكتشاف أكبر المخزونات، ومن هنا كان لزاما التطرق إلى أهم الحقول وصولا إلى مشاريع النقل والاستثمار، ومن ابرز هذه الحقول[20]:

- حقول محور تيمان- بيتشورا في منطقة نينيتس المستقلة، التي عمدت شركة لوكويل إلى رسم سياسة توسيع الاحتياطي الصناعي بالمنطقة ليصل إنتاج الخام السنوي 10 الى 440 ألف برميل يوميا في عام 2015م، بالموازاة مع بدء العمل في 31 حقلا جديدا في المنطقة تتوقع أن تستثمر فيه بالتعاون مع شركة غاز بروم.
- حقل بريوبسكوي في منطقة خانتي- مانسي المستقلة، تديره شركة يوكوس يحتوى على ما يقارب 5 مليارات برميل من المخزون.
- حقول مقاطعة يامالو- نينيتس المستقلة مع احتياطيات مثبتة تقدر بـ 1.7 مليار برميل.
- بالإضافة، هناك مشاريع كبرى في سيبيريا الوسطى والشرقية كحقل يوروبيتينسكوي، حقول منطقة كراسنويارسك، حقل برير الزلومنوي شرق بحر بارانتس، حقل فانكور (يقدر المخزون مليار برميل من النفط و75 مليار مكعب من الغاز).

تخضع ابرز الشركات النفطية الروسية إما لإشراف الدولة وإما لأصحاب الأموال، ومن أهمها نذكر: شركة **روسنفط** التي تشرف على مساهمات الدولة في مختلف الشركات النفطية الروسية، شركة **لوكويل** شركة الإنتاج الأولى في روسيا منتشرة بـ 60 منطقة منها سيبيريا الغربية والاورال وفي منطقة الشمال، **شركة سورغو نفطغاز** تتوافر على 15% من المخزونات الروسية، **شركة تيومن-بريتش بتروليوم** المتعددة الجنسيات تسيطر بالإجمال على خمس محطات تكرير في روسيا وفي أوكرانيا[21]. فضلا عن مجموعات نفطية أخرى تكمل المشهد العالم الداخلي للقطاع.

- خطوط نقل الطاقة الروسية

يمثل تحد العبور الآمن لإمدادات الطاقة الروسية نحو السوق العالمية للطاقة إحدى محددات مفهوم الأمن الطاقوي، لهذا تسعى روسيا الاتحادية ضمن إستراتيجيتها

الطاقوية إلى ضمان : أمن مناطق الإنتاج، تأمين خطوط نقل الإمدادات و عرقلة إنشاء مشاريع موازية أو مضادة للمشاريع الروسية بالمنطقة الأوراسية ككل.

انطلاقا مما سبق، تواجه روسيا معضلة عرقلة إمداداتها نحو السوق العالمية للطاقة لكبح نفوذها المتنامي على الساحة الدولية.

أولا- أوكرانيا والتوجه الاوراسي الروسي

تحتل أوكرانيا موقعا مميزا في رقعة الشطرنج الأوراسية تعرف بالحافة، تشكل دولة محورية في الجغرافية السياسية، بمثابة الجدار الفاصل بين روسيا والاتحاد الأوروبي، الدولة المرجحة لهيمنة احد القوتان للهيمنة الأوراسية[22]. دولة متوسطة بالمعيار الجغرافي تعرف بالحافة وتشكل جزءا من مكون الهوية الروسية، استراتيجيا أحد الركائز الجيوسياسية الأوراسية واحد البوابات الثلاث لانفتاح روسيا على العالم الخارجي إلى جانب أسيا الوسطى والقوقاز، إذ تؤمن أوكرانيا لروسيا الإطلالة على البحر الأسود المؤدي إلى المضايق التركية، ويعتبر منفذا على البحر المتوسط، ومنه التواجد البحري بأوروبا وآسيا، وفرض روسيا للاعب محوري في قضايا الشرق الأوسط[23].

جيوبوليتيكيا، تعتبر أوكرانيا نقطة قوة وضعف لإمدادات الطاقة الروسية الخارجية في آن واحد برز ذلك جليا اثر الأزمة الأوكرانية 2009م، إذ يمر عن طريقها ما يفوق 50% من توريدات الطاقة الروسية نحو أوروبا (13% من الغاز باتجاه شرق أوروبا) عبر شبكة واسعة من الأنابيب منها خط دروشبا. بلورت الأزمة الأوكرانية الإدراك الروسي لتهديد التبعية الطاقوية الروسية لدول العبور على غرار أوكرانيا، وتداعيات ذلك على أمن إمداداتها الطاقوية وأمنها القومي ككل، وضرورة إيجاد حلول إستراتيجية لضمان أمنها الطاقوي في الأمد البعيد لاسيما إنهاء تبعية ممتدة لما يقارب سنة 2025م نظرا لضخامة تكلفة مشاريع الطاقة الروسية – الأوكرانية[24].

ثانيا- خطوط امدادات الطاقة الروسية:

تمتلك روسيا شبكة مشاريع واسعة الانتشار لتصدير موارد الطاقة الحيوية "النفط والغاز الطبيعي"، إذ أن هنالك **مجموعة بريمورسك** العملاقة في شمال خليج فنلندا (900ألف برميل في اليوم)، محطة وصول في **خليج باتارينايا** (قرابة 300ألف برميل يوميا)، **مرفأ فيتوسك** الذي تبلغ قدرته التصديرية 2004 (240ألف برميل في اليوم)، **مرفأ فوستوشني** أكبر مرفأ روسي في الشرق الأوسط يؤمن حركة تجارية تصل إلى 45مليون طن سنويا، **مرفأ فانينو** لوصول الإمدادات الروسية النفطية إلى آسيا، فضلا عن بناء موقع نفطي جديد في نوفوروسيسك كمشروع مرتبط بإنشاء خط أنابيب جديد عبر سهول شمال القوقاز وقزوين والبحر الأسود، (تصل قدرته على الإفراغ إلى 1.3مليون برميل في اليوم 2010)، يعد بمثابة البديل الروسي لأنابيب النفط باكو-تبيليسي-جيهان[25].

بالإضافة، إلى أهمية المرافئ البلطيقية "مرفأ تالين" في استونيا، "محطة وصول بوتانج" في لتوانيا، أيضا في خليج فنلندا ما يعرف بنظام أنابيب البلطيق (BPS)، لنقل النفط من سيبيريا الغربية نحو مرافئ البلطيق باتجاه أوروبا الغربية، مع إمكانية نقل نفط الخام الآتي من الشمال عبر نظام أنابيب البلطيق.

أما بالنسبة لأنابيب الغاز الروسية الرئيسية تتمثل في: "مثلث الأخوة والتقدم والوحدة" قدرة كل واحدة منها تريليون قدم مكعب، *ضوء الشمال(0,8 ت.ق.م)، *فولغا/أورال-فيبورغ-فلندا (1,0 ت.ق.م) باتجاه أوروبا عبر روسيا البيضاء، *وبلوستريم نحو تركيا تحت البحر الأسود(0,56ت.ق.م)[26].

أما بالنسبة لأهم الخطوط التنافس الطاقوى الروسي الغربي نذكر:

1. **مشروع السيل الشمالي:** أو ما عُرف سابقا بخط أنابيب الغاز في شمال أوروبا، يهدف المشروع إلى نقل الغاز الروسي "فيبورج" في قاع بحر البلطيق إلى ألمانيا "جرايفسوالد" مباشرة دون المرور ببيلاروسيا، يبلغ طوله 1200كلم (55 مليار متر مكعب سنويا من الغاز) وأن 80% من غاز الترانزيت ينقل من روسيا إلى أوروبا عبر أوكرانيا حتى بدا تشغيل الخط. بالشكل الذي يسمح لروسيا تنويع طرق الإمداد الأمر الذي يدعم أمنها الطاقوي، ويُخلصها من التبعية لدول الإمداد لأهم

الأسواق الطاقوية ويُلغي أي تأثير سياسي خارجي في العلاقات الروسية – الأوروبية كـأهم تحد واجهته روسيا في هذا الجانب، فضلا على انه يقلص من تكاليف العبور للإمدادات الروسية. تشارك شركة غاز بروم بنسبة 51% في تنفيذ المشروع إلى جانب الشركتين الألمانيتين(BASF) و(E.ON)، والشركة الهولندية (Gasvine) [27].

2. **مشروع التيار الجنوبي**: هو مشروع أنبوب غاز يمتد من ميناء نوفوروسيسك إلى ميناء فارنا البلغاري عبر قاع البحر الأسود، ليمتد بعدها بفرعين عبر شبه جزيرة البلقان إلى إيطاليا وإلى النمسا، كان من المخطط انتهاء المشروع سنة 2016م. يعتبر خط التيار الجنوبي منافسا قويا لمشروع "خط نابوكو" الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة، بل ويُلغى الحاجة لمشروع نابوكو. وعلى هذا الأساس، يحتل المشروع أولوية كبيرة في إستراتيجية أمن الطاقة الروسي إذ يقلل من التبعية لدول الترانزيت بالتحديد أوكرانيا وتركيا[28].

3. **مشروع السيل التركي**: يتكون المشروع من 4 أنابيب تصل القدرة الاستيعابية للواحد منها حوالي 15,750مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، يبلغ طوله 1117كلم، 910كلم تحت قاع البحر الأسود. يتيح هذا الخط لروسيا تعزيز نفوذها في قطاع الطاقة في أوروبا مرة أخرى لقرابة سنة 2035، تضخ روسيا حوالي 63 مليار مكعب من الغاز الطبيعي سنويا، تستفيد تركيا من حوالي 14مليار متر مكعب، في حين يتم ضخ حوالي 49 مليار متر مكعب لأوروبا، وهو ما يعطي لروسيا بدائل إستراتيجية جديدة لتسويق إمداداتها الطاقوية مقابل التقليل من الأهمية الإستراتيجية لأوكرانيا كدولة عبور[29].

4. **مشروع بروجاس-الكسندروبوليس**: أنبوب إمداد النفط من ميناء نوفوروسيسك الروسي على البحر الأسود لإلى ميناء بروجاس البلغاري، ومنه بأنبوب النفط إلى مدينة الكسندروبوليس اليونانية ثم إلى دول أوروبا الغربية. تكمن أهمية الخط في اختصار طرق نقل النفط عبر مضيق البوسفور، ويمنح إمكانية النقل المباشر إلى البحر المتوسط وإحكام السيطرة على إمداداته إلى أوروبا.

5. **غاز منطقة الشرق الأوسط "سوريا حجر الأساس"** ستشكل سورية مستقبلا بؤرة التجميع والإنتاج وعبور للإمدادات الغازية للأسواق العالمية وباحتكار روسي إذ أن خط الغاز من السعودية وخط الغاز القطري لا طريق لهما لأوروبا إلا عبر سورية، فضلا عن توقيع إيران اتفاقيات لنقل الغاز عبر العراق إلى سورية منذ 2011م كفضاء استراتيجي يُفتح جغرافيا من إيران إلى العراق إلى سورية فلبنان، وهو ما يفسر حجم الصراع وتضارب المصالح بالمنطقة.

ثالثا: تهديد خطوط الطاقة المنافسة لروسيا

تستهدف هذه المشاريع تعزيز أمن الطاقة الأوروبي وكسر الاحتكار الروسي لمنطقتي جنوب القوقاز وآسيا الوسطى التي تسيطر موسكو فيهما على شبكة من خطوط النفط والغاز نظرا لوقوعها في مجال نفوذها الحيوي، وعاملا يُكسبها امتيازا في اللعبة الكبرى الجديدة بأوراسيا.

1. مشروع خط نابوكو: تقوم الولايات المتحدة الأمريكية على رعاية إمداداته، يهدف الأنبوب إلى ضخ إمدادات الغاز من منطقة بحر قزوين عبر الأراضي التركية إلى النمسا متفادية مروره عبر الأراضي الروسية للقارة الأوروبية وتقليص من هيمنتها. وقع على اتفاقية المشروع سنة 2009ومن المحدد أن يتم الانتهاء سنة 2018، يبلغ طوله 3300 كلم وتقدر تكلفته بحوالي 6.14 مليار دولار، يساهم خط نابوكو بنقل من 10-30مليار متر مكعب من الغاز المسال، وتشترك في تنفيذه تركيا وبلغاريا ورومانيا والمجر والنمسا[30].

2. مشروع الممر الجنوبي (باكو-تبليسي-أرضروم): دشنت أنقرة خط غاز جنوب القوقاز أواخر سنة2006م لنقل الغاز الأذربيجاني من حقل "الشاه دنيز" إلى تركيا ومنه إلى اليونان، متفادية الخطوط الروسية. تم الانتقال غالى "مشروع شاه دنيز02"، حيث عمدت أذربيجان لتطوير خططها التصديرية، وتوقيع باكو وأنقرة 2011/12 مذكرة تفاهم لبناء خط عابر للأناضول لنقل غاز من المشروع للأسواق، قرر اتحاد الشركات المطورة لحقل "الشاه دنيز"

انتقاء الخط العابر للبحر الأدرياتيكي لنقل غاز الحقل إلى ايطاليا وباقي الأسواق الأوروبية عبر تركيا وألبانيا واليونان. عليه، شكلت تركيا محور مشروع الممر الجنوبي لإمدادات غاز بحر قزوين إلى أوروبا بخطيه العابرين للأناضول والأدرياتيكي[31].

خاتمة

إن ضمان أمن مشاريع الطاقة على رأسها النفط والغاز الطبيعي من التهديدات الخارجية، وكسب التنافس على مشاريع النقل والتوصيل لهذه الموارد الحيوية، يُعتبر جزء مهم وموثوق لضمان أمن إمدادات الطاقة الروسية للأسواق العالمية. تظهر سياسة روسيا الطاقوية أن موسكو ستستمر في محاولة السيطرة، والقضاء على كل منافسة تتعلق بطرق إمدادات الطاقة من الفضاء الآسيوي عبر آليتي "الشراكة أو القوة الصلبة" في قطاع الطاقة، بما تقتضيه ضرورة ضمان "الأمن الروسي الأوراسي".

الهوامش :

(1) د. وسيم خليل قلعجية، **روسيا الأوراسية: زمن الرئيس فلاديمير بوتين**. بيروت: دار العربية للعلوم والناشرون، 2016، ص ص 179،180.

(2) زنيغنيو بريجنسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى: الأولوية الأمريكية ومتطلباتها الجيوسياسية**(تر. أمل الشرقي)، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع،1999، ص ص48-51.

(3) ميشيل هيفرنان، **نهاية قرن أم نهاية عالم؟ في أصول الجيوبوليتيكا الأوروبية(1980- 1920)**. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010، ص ص 15،9.

(4) ألكسندر دوغين، **أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي**. (تر: د.عماد حاتم) بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004.

(5) Spykman ,N.J., **The Geograph Of The Peace**. New York ; Harcourt Brace, 1994, p.43

(6) زنيغنيو بريجنسكي، **مرجع سابق**، ص 550.

(7) جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، **النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية**,(تر. وليد عبد الحي)، بيروت: كاضمة للنشر والترجمة والتوزيع، 1985، ص66.

(8) ألكسندر دوغين، **مرجع سابق**، ص ص 126،128.

(9) الكسندر دوغين، **مرجع سابق**، ص 209.

(10) يازاجنكياتي، **صراع القوى الدولية في ضوء النظام العالمي الجديد: ودور السياسة النووية في رسم الخارطة السياسية للشرق الأوسط**.(تر: على مرتضى سعيد)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011، ص ص 13،14.

(11) Daniel Yergin, **ensuring energy security,"foreign affairs**,vol 85, no.2 (march -april 2006), p p.69-82.

(12) د.خديجة عرفة محمد، **أمن الطاقة وآثاره الإستراتيجية**. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2014، ص ص 58،60.

(13) Richard Haass. A New U.S.Strategy for the Beyond Iraq MiddleEast .**Foreign Affairs**, vol.88,no.1, (January/ February 2009).

(14) يفجيني بريماكوف، **العالم بدون روسيا: قصر النظر السياسي وعواقبه**. (تر: عبد الله حسن)، دمشق: دار الفكر، 2010، ص166.

(15) د. وردة هاشم على عيد، **صراع القوى العالمية حول مناطق الطاقة**.القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2013، ص ص 234،236.

(16) يفجيني بريماكوف، **مرجع سابق** ، ص ص 165-169.

(17) د. .خديجة عرفة محمد، **مرجع سابق**، ص 177.

(18) وليد محمود أحمد،"سياسة روسيا الاتحادية بعد الحرب الباردة،" **دراسات إقليمية**،ع.4(ديسمبر2005)، ص ص292،297.

(19) د. وسيم خليل قلعجية، **مرجع سابق**، ص ص 44،45.

(20) فيليب سيبيل-لوبيز، **الجغرافيات السياسية للبترول**. ابو ظبي: هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة، 2011، ص ص233،240.

(21) فيليب سيبيل-لوبيز، **مرجع سابق**، ص 241.

(22) باسم راشد، "**تهديد جيوستراتيجي: حسابات القطب الروسي في الأزمة الأوكرانية**". القاهرة: مجلة السياسة الدولية، العدد196، افريل 2014، ص 123.

(23) ألكسندر دوغين، مبادئ الأوراسية **www.4pt.su/ar/content/mbd-lwrsy.**

(24) Simon Pirani and KatjaYafimava , Russian Gas Transit Across Ukraine Post-2019 : pipeline scenarios, gas flow consequences, and regulatory constraints (University of Oxford : the Oxford Institute for Energy Studies, February 2016,p.18.).

(25) فيليب سيبيل لوبيز، **مرجع سابق**، ص ص 244،248.

(26) فيليب سيبيل لوبيز، **مرجع سابق**، ص 249.

(27) يفجيني بريماكوف، **مرجع سابق**، ص 175،176.

(28) نورهان الشيخ، سياسة الطاقة الروسية وتأثيرها على التوازن الاستراتيجي العالمي.**قضايا**، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، ص 14.

(29) محمد عزيز عبد الحسن، تركش ستريم بديل إستراتيجي لساوث ستريم، 2017/08/18، أنظر:
http://www.turkpress.co/node/38582

(30) جلال سلمى، تركيا خطوط نقل الطاقة : المردود والآفاق، دراسات إستراتيجية، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2016/12/19، ص 13.

(31) Zaur Shiriyev, Why? Pipeline Politics in an Economically Fragile Europe, Today Zaman, July25, 2013.